

الإنسية التضامنية

لقد أدت سياسات السوق التي انقاد إليها زعماء الحكومات رغم ما تكتسبه ضمناً من فقدان لا يكبح للأبعاد الإنسانية، إلى تقلص بل وحتى إلى فقدان الحقوق الاجتماعية والمهنية والمدنية التي اكتسبها الإنسان عبر العصور بعد جهد جهيد. وقد أفرزت أزمة القيم التي نعيشها اليوم إنتشار النزاعات الفردية ومظاهر الإقصاء والتمييز وحصر السلطة في هياكل لا تكثرث بالرقابة الديمقراطية. لذلك بات من الواجب علينا التعبير عن رفضنا لهذه السياسات ومقاومتها بحجة الكلمة.

إن الأدب والفن هما من أرقى الصيغ لمحاولة تفسير سرّ الوجود وجوهر الإنسان. وإيماناً منا بهذا المبدأ فإننا نعتقد أن عملية الإبداع القائمة على مفهوم إنساني تضامني لا بدّ أن تفضى إلى أجوبة وإلى نماذج جديدة لإحياء القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تمّ انتهاكها. ونحن بقدر ما لا ندعي الدفاع عن أيّة قضية فإننا نتمسك بالذود عن قضايا الإنسان وحقوقه عبر الفكر والخلق والإبداع والانتقائية الذكية في كنف الحرية والإنعتاق.

نحن ننادي من خلال الإنسية التضامنية إلى التكامل والإندماج ونتجه حصراً إلى الكتاب ذوي النظرة الكونية. لأن الفكر التوافقي والإنسجامي هو ركيزتنا ودافعنا لتغيير الأشياء. فلا مجال لأن نخوض عوالي البحر فرادى، ولأن هذه المياه تعطي الحياة للجميع فإننا نطالب بكونية الإلتزام وبالإجماع على أنّ لا أحد خير من غيره لأنه يفكر بصفة مختلفة مهما كان فكره أو جنسه أو مقامه أو إعتقاده أو عقيدته.

تقوم الإنسية التضامنية على مبادئ المساواة والتضامن والأخوة بين الشعوب في سياق إجتماعي وديمقراطي يضمن حقوق الفرد وواجباته تجاه المجتمع وحقوق المجتمع وواجباته إزاء الأفراد وذلك لخلق فضاء لا تضيف ولا تنقص فيه الجنسية أو الهوية الطبيعية أي مزية لأصحابها باعتبارهما مجرد عرض طارئ. إنّ مفهوم الحياة كاسمى معاني الوجود لا جدال

فيه ولا أحد مهما أوتي من سلطة أو نفوذ بإمكانه أن يسمح لنفسه بإهانة أيّ الفرد أو إقصاء أي جماعة من المجتمع. ولا ريب أنه من الضروري الإجابة عن كلّ عرض نظريّ بكل صدق ونزاهة لأنّ التضارب الصّارخ بين الوعد والإنجاز يبطل نجاعة الكلمة ويضعف قدرتها على خوض أمهات المسائل الإقتصادية والإجتماعية والسياسية. كم يتطرق باستخفاف إلى الرويات الأدبية!

انطلاقاً من روح المذهب الشعري في مفهومه الهليني باعتباره علاقة جليّة بين اللغة والفكر فإن أعضاء تيّار الإنسية التضامنية تدافع عن هذا

البيان:

1- نقرّ بأن الإنسان ككائن حيّ جدير بأن يكون موضوع دراسة في المجتمع، وبأن الطوبيا هي فضاء وبديل للمعرفة، ونسعى إلى بناء ذاتية لإسترداد جوهر الإنسان حيث يصبح الفعل الذي يصرف "أنا" بـ "نحن" كونياً فلا معنى للكائن دون دعم الكائنات الأخرى. لذلك فإن الإنسية التضامنية تتمسك بالإلتزام بالوحدة تصدياً لمظاهر الدغماتية والتجزئة وكره الأجنبي والإقصاء لأنّ الشخصية لا تكتمل دون إحترام الآخر فتنوع الكائن يرفض التسليم بقيم مطلقة لأن مثل هذه القيم الإعتباطية والمتسلطة سرعان ما تحود وتنساق إلى الإقصاء.

2- إن الكائن حريّ حقا بجملة من الحقوق كلما عاش صلب مجتمع يقرّ بها. فالتضامن هو اعتراف بأن الإنسان لا يعيش منعزلاً بل ضمن جماعة نشيطة ، تفكر وتنجز في كنف الحرية علماً وأن الحرية لا يمكن ممارستها إلا في سياق ديمقراطي يضمن الحقوق. وبما أن لا حرية إلا بحرية الآخرين، فنحن نطالب، بحجة الكلمة، بالحقوق الشرعية للأفراد مهما كانت منزلتهم أو أصولهم أو جنسهم أو إحساسهم أو دينهم، مستندين في ذلك إلى مفهوم الجمالية الذي يتبنى استرجاع المعنى العميق لكلمة أخوة

لأننا واثقون من أن الجنسية أو الإنتماء إلى إقليم ما لا يضيف و لا ينقص حقوقاً لأيِّ كائن.

3- ننادي **بتصرّف أخلاقي** كأرضية أساسية لعملية التواصل. إذ من هذا المنطلق يصبح بالإمكان إعادة تربية الذات والشعور وخلق ظروف تسمح بوجود صوت قويّ ثابت بين رموز الحداثة الجوفاء وبإعادة اكتشاف ما توارثناه من آثار بعدرومنسية ومدنية. إن التطرق إلى **البعدرومنسية المدنية** هو في حدّ ذاته إجابة أخلاقية وجمالية عن وضع المجتمعات المعاصرة المتّسم بالغموض والتناقض. لذلك فإن الرجوع إلى التاريخ وإلى التيارات الفكرية التي تولّف بين البعد الفردي والبعد الجماعي يمكن أن يكون أحد أكبر فتوحات الإنسان في هذا الزمن.

4 – نعتبر بصفتنا أعضاء تيار الإنسية التضامنية أنه لا بدّ من معرفة الواقع حتى نؤثر فيه ونغيّره. ولا مجال لتطوّر "الإنسان" دون مجانية التكوين والتنقيف. فالتربية والمعرفة هما عنصران أساسيان وكونيان لتحقيق استقلالية الأفراد والجماعات وتطوير الإنسية لذلك نطلب من ممثلينا القيام بما يجب القيام به حتى تصبح الثقافة شاهدة عن التاريخ لا مجرد قيمة تافهة. كما نطالب بجعل التربية والثقافة من أولويات الدّول ضمّاناً **لحق الجميع في التكوين والإعلام.**

5- لقد كان المبدع عبر التاريخ مرجعاً للمجتمع. لذلك فإن حجبهُ يعدّ كسر للعمود الفقري للمجتمعات وعرقلة لتطورها. إذ لا ننسى أن كل مبدع مهما كانت صيغة التعبير المتاحة له (علمية أو تشكيلية أو أدبية) فإنه يلتزم باستعمال الكلمة لتفسير العالم وبالتالي فنحن نطالب من خلال تيار **الإنسية التضامنية** أن يلتزم المبدع تجاه المجتمع وتجاه التاريخ، أي أن يلتزم **تجاه الكلمة وتجاه الحياة** وأن يصمد ويرتبط بالآخر بكل مسؤولية وأن يعتبر أن الآداب والجمالية هما وجهان لنفس العملة. فالفنّ في مثل هذا الظرف الحرج يتطلب درجة من الوعي تجعل من الإنسان غاية العملية الإبداعية والفكرية.

6- في ظرف انتشرت فيه أزمة القيم والأنانية في أشع مظاهرها وانسدت السبل أمام الثقافة، بات من واجب أهل الأدب والفنّ نوي الحساسية المرهفة وبعد النظر أن يضعوا حدّاً

لمثل هذه المشاكل الخطيرة. لذلك فإن تيار الإنسانية التضامنية ينساق في هذا الإلتزام لا بالإستناد إلى مسلمات مذهبية أو إلى آليات تمييز بل بأخذ مواقف ملموسة يكون لها انعكاس مباشر على الواقع الإجتماعي ودلالات أخلاقية كونية، أو بتوخي خطاب تجديديّ مفعم بالأمل، صادق لا يقوم على التمييز بل على الحقيقة والطيبة والجمال. نحن نسعى إلى الأدب الأكثر إنسانية، إلى أدب متجذر في حقيقة الإنسان، يراهن على لغة ناجعة تختزل المعارف والمشاعر والمعاني الحرة: أدب إبداعي قائم على دوافع جمالية لا تتضارب قطّ مع الإحساس الرقيق.

7- الإنسانية التضامنية تيار نقدي وفكري لمثقفين أحرار التزموا في كنف الإبتداع الجمالي بإستعمال الكلمة كواجب إجتماعي، مستندين إلى مبادئ الإلتزام والإنضباط الأخلاقي، غير خاضعين لأيّ مذهب أو فلسفة أو سياسة أو دين معيّن. إن الحرية الفكرية لأصحاب هذا التيار جعلتهم يثورون عن الأنظمة والمنظمات التي تضطهد وتخنق أغلب الإنسانية. بعيدا عن أيّ مذهب مهيم، ندعو إلى نفي الفكر الواحد مهما كانت مظاهره ، ونبني مبادئنا الجوهرية و عملنا الفردي والجماعي وفقا للمعاني الأخلاقية المنبثقة عن فكرة الأخوة الكونية التي لا تنازل عنها.

Mohamed Néjib Ben Jemia
Catedrático de Filología Española / Traductor
Universidad de la Manouba
Facultad de Letras, Artes y Humanidades
Campus universitario-2010-Manouba (Túnez)